ليست محاولة للتشكيك في البخاري ومسلم والفقهاء الأسلاف.. ولكنها دفاع عن رسول الله

نبيُّنا العظيم لم يتزوج عائشة وهي طفلة!

السيرة والتواريخ الزمنية الواردة في أمهات الكتب ترد على أحاديث البخاري وتؤكد أن ابنة أبى بكر تزوجت النبي وهى في الثامنة عشرة من عمرها.

من هنا يتلقى الإسلام الكثير من الطعنات، عبر تلك المناطق الجدلية يتعرض رسولنا الكريم للكثير من الافتراءات والاتهامات.. زوجاته وعلاقاته بالنساء والكثير من القصص عن طرق زواجه بهن وتعامله معهن، الكثير من المغالطات التاريخية وعدم الدقة في الروايات يستغلها الكثيرون للهجوم على الإسلام ورسوله الكريم وتبقى أفواه علمائنا مغلقة على ما فيها من ردود علمية وعملية، مكتفية فقط بتسفيه المنتقدين والتشكيك في نواياهم، وحينما تظهر أصوات العقلاء لتدافع عن الرسول عليه الصلاة والسلام مؤكدة بالتاريخ والروايات الموثقة عدم دقة الكثير من الروايات التي يأخذها البعض على الإسلام مثل رواية زواج النبي عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة وهى في عمر تسع سنين، تواجهها تلك العقبة المقدسة التي تقول بقدسية المناهج الفقهية القديمة، وكتب البخاري ومسلم، وتعصمها من الخطأ، وترفض أي محاولة للاجتهاد في تصحيح روايتها حتى ولو كانت محل شك، فهي العلوم وحيدة زمانها، والتي لا تقبل التجديد ولا الإضافة ولا الحذف ولا التنقيح ولا التعقيب ولا حتى النقد.

بقلم/ إسلام بحيرى *

بهذا المنطق يصمت علماؤنا أمام موجات الهجوم التي يتعرض لها الإسلام ورسوله، وإن تكلموا يأتي كلامهم غير منصف لأنه يأتي معتمدا على روايات قديمة تقول بقدسية المناهج القديمة ومعصوميتها من الخطأ، وكأن المسلمين من بعد القرن الرابع الهجري أصبحوا مخلوقات منزوعة العقل، أصبحوا مسلمين من الفئة الثانية لا يقبل منهم الاستدراك أو النقد على ما قدمه الفقهاء الأوائل، وكذا هو الحال مع الرواية ذائعة الصيت التي يكاد يعرفها كل مسلم، والتي جاءت في البخاري ومسلم، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو صاحب الخمسين عاما قد تزوج أم المؤمنين (عائشة) وهى في سن السادسة، وبني بها- دخل بها- وهى تكاد تكون طفلة بلغت التاسعة، وهى الرواية التي حازت ختم الحصانة الشهير لمجرد ذكرها في البخاري ومسلم، رغم أنها تخالف كل ما لا يمكن مخالفته، فهي تخالف القرآن والسنة الصحيحة وتخالف العقل والمنطق والعرف والعادة والخط الزمني لأحداث البعثة النبوية، والرواية التي أخرجها البخاري جاءت بخمس طرق للإسناد وبمعنى واحد للمتن- النص- ولطول الحديث سنورد أطرافه الأولى والأخيرة التي تحمل المعنى المقصود، (البخاري - باب تزويج النبي عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها3894-): حدثني فروة بن أبى المغراء: حدثنا على بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة،... فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين».

بالاستناد لأمهات كتب التاريخ والسيرة المؤصلة للبعثة النبوية (الكامل- تاريخ دمشق - سير أعلام النبلاء - تاريخ الطبري - البداية والنهاية - تاريخ بغداد - وفيات الأعيان، وغيرها الكثير)، تكاد تكون متفقة على الخط الزمني لأحداث البعثة النبوية كالتالي: البعثة النبوية استمرت (13) عامًا في مكة، و(10) أعوام بالمدينة، وكان بدء البعثة بالتاريخ الميلادي عام (610م)، وكانت الهجرة إلى المدينة عام (623م) أي بعد (13) عاما في مكة، وكانت وفاة النبي عام (633م) بعد (10) أعوام في المدينة، والمفروض بهذا الخط المتفق عليه أن الرسول تزوج (عائشة) قبل الهجرة للمدينة بثلاثة أعوام، أي في عام (620م)، وهو ما يوافق العام العاشر من بدء الوحي، وكانت تبلغ من العمر (6) سنوات، ودخل بها في نهاية العام الأول للهجرة أي في نهاية عام (623م)، وكانت تبلغ (9) سنوات، وذلك ما يعنى حسب التقويم الميلادي أي أنها ولدت عام (614م)، أي في السنة الرابعة من بدء الوحي حسب رواية البخاري، وهذا وهم كبير.

نقد الرواية تاريخيا:

1 - حساب عمر السيدة (عائشة) بالنسبة لعمر أختها (أسماء بنت أبى بكر-ذات النطاقين-): تقول كل المصادر التاريخية السابق ذكرها إن (أسماء) كانت تكبر (عائشة) بـ (10) سنوات، كما تروي ذات المصادر بلا اختلاف واحد بينها، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بـ (27) عاما، ما يعنى أن عمرها مع بدء البعثة النبوية عام (610م) كان (14) سنة، وذلك بإنقاص من عمرها قبل الهجرة (13) سنة وهى سنوات الدعوة النبوية في مكة، لأن (13-27=14سنة)، وكما ذكرت جميع المصادر بلا اختلاف أنها أكبر من (عائشة) بـ (10) سنوات، إذن يتأكد بذلك أن سن (عائشة) كان (4) سنوات مع بدء البعثة النبوية في مكة، أي أنها ولدت قبل بدء الوحي بـ (4) سنوات كاملات، وذلك عام (606م)، ومؤدى ذلك بحسبة بسيطة أن الرسول عندما نكحها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها (14) سنة، لأن (10+4=14 سنة)، أو بمعنى آخر أن (عائشة) ولدت عام (606م)، وتزوجت النبي (620م)، وهى في عمر (14) سنة وأنه كما ذُكر بني بها-دخل بها- بعد (3) سنوات وبضعة أشهر، أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية، عام (624م)، فيصبح عمرها آنذاك (1+3+14= 18سنة كاملة)، وهى السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم (عائشة).

2 - حساب عمر (عائشة) بالنسبة لوفاة أختها(أسماء- ذات النطاقين): تؤكد المصادر التاريخية السابقة بلا خلاف بينها أن (أسماء) توفيت بعد حادثة شهيرة مؤرخة ومثبتة، وهى مقتل ابنها (عبد الله بن الزبير) على يد (الحجاج) الطاغية الشهير، وذلك عام (73هـ)، وكانت تبلغ من العمر (100)سنة كاملة، فلو قمنا بعملية طرح لعمر(أسماء) من عام وفاتها (73هـ)، وهى تبلغ (100) سنة فيكون (73-100=27 سنة) وهو عمرها وقت الهجرة النبوية، وذلك ما يتطابق كليا مع عمرها المذكور في المصادر التاريخية، فإذا طرحنا من عمرها (10) سنوات- وهى السنوات التي تكبر فيها أختها (عائشة)- يصبح عمر (عائشة) (27-10=17سنة) وهو عمر (عائشة) حين الهجرة، ولو بني بها - دخل بها - النبي في نهاية العام الأول يكون عمرها آنذاك(1+17=18 سنة) وهو ما يؤكد الحساب الصحيح لعمر السيدة (عائشة) عند الزواج من النبي، وما يعضد ذلك أيضا أن (الطبري) يجزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد (أبى بكر) قد ولدوا في الجاهلية، وذلك ما يتفق مع الخط الزمني الصحيح، ويكشف ضعف رواية البخاري، لأن (عائشة) بالفعل قد ولدت في العام الرابع قبل بدء البعثة النبوية.

3 - حساب عمر (عائشة) مقارنة (بفاطمة الزهراء) بنت النبي: يذكر (ابن حجر) في (الإصابة) أن (فاطمة) ولدت عام بناء الكعبة، والنبي ابن (35) سنة، وأنها أسن-أكبر- من عائشة بـ (5) سنوات، وعلى هذه الرواية التي أوردها (ابن حجر) مع أنها رواية ليست قوية، ولكن على فرض قوتها نجد أن (ابن حجر) وهو شارح (البخاري)، يكذب رواية (البخاري) ضمنيًا، لأنه إن كانت (فاطمة) ولدت والنبي في عمر (35) سنة، فهذا يعنى أن (عائشة) ولدت والنبي يبلغ (40) سنة، وهو بدء نزول الوحي عليه، ما يعنى أن عمر (عائشة) عند الهجرة كان يساوى عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة وهى (13) سنة، وليس (9) سنوات، وقد أوردت هذه الرواية فقط لبيان الاضطراب الشديد في رواية البخاري.

نقد الرواية من كتب الحديث والسيرة:

1 - ذكر (ابن كثير) في (البداية والنهاية) عن الذين سبقوا بإسلامهم: «ومن النساء... أسماء بنت أبى بكر وعائشة وهى صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو في خفية، ثم أمر الله عز وجل رسوله بإظهار الدعوة»، وبالطبع هذه الرواية تدل على أن (عائشة) قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في عام (4) من بدء البعثة النبوية، بما يوازى عام (614م)، ومعنى ذلك أنها آمنت على الأقل في عام (3) أي عام (613م)، فلو أن (عائشة) على حسب رواية (البخاري) ولدت في عام (4) من بدء الوحي، معنى ذلك أنها لم تكن على ظهر الأرض عند جهر النبي بالدعوة في عام (4) من بدء الدعوة، أو أنها كانت رضيعة، وهذا ما يناقض كل الأدلة الواردة، ولكن الحساب السليم لعمرها يؤكد أنها ولدت في عام (4) قبل بدء الوحي أي عام (606م)، ما يستتبع أن عمرها عند الجهر بالدعوة عام (614م)، يساوي (8) سنوات وهو ما يتفق مع الخط الزمني الصحيح للأحداث، وينقض رواية البخاري.

2 - أخرج البخاري نفسه (باب - جوار أبى بكر في عهد النبي) أن (عائشة) قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَلَ الحبشة»، ولا أدرى كيف أخرج البخاري هذا، فـ (عائشة) تقول إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين، وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكَرَت، وتقول إن النبي كان يأتي بيتهم كل يوم، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات، والمؤكد أن هجرة الحبشة، إجماعا بين كتب التاريخ كانت في عام (5) من بدء البعثة النبوية ما يوازى عام (615م)، فلو صدقنا رواية البخاري أن عائشة ولدت عام (4) من بدء الدعوة عام (614م)، فهذا يعنى أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوي) وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحا، ولكن بالحساب الزمني الصحيح تكون (عائشة) في هذا الوقت تبلغ (4 قبل بدء الدعوة، + 5 قبل هجرة الحبشة = 9 سنوات) وهو العمر الحقيقي لها آنذاك.

3 - أخرج الإمام (أحمد) في (مسند عائشة): «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تتزوج، قال: من، قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا، قال: فمن البكر قالت: أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر»، وهنا يتبين أن (خولة بنت حكيم) عرضت البكر والثيب-المتزوجة سابقا-، على النبي فهل كانت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبي بلوغها النكاح، المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضهن للزواج الحالي بدليل قولها (إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا) ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها، وتعرضها (خولة) للزواج بقولها (بكرا).

4 - أخرج الإمام (أحمد) أيضا عن (خولة بنت حكيم) حديثا طويلاً عن خطبة عائشة للرسول، ولكن المهم فيه ما يلي: «قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه، والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فاخلفه... لعلك مصبي صاحبنا»، والمعنى ببساطة أن (المطعم بن عدى) وكان كافرا قد خطب (عائشة) لابنه (جبير بن مطعم) قبل النبي الكريم، وكان (أبو بكر) يريد ألا يخلف وعده، فذهب إليه فوجده يقول له لعلّى إذا زوجت ابني من (عائشة) يُصبى أي (يؤمن بدينك)، وهنا نتوقف مع نتائج مهمة جدا وهى: لا يمكن أن تكون (عائشة) مخطوبة قبل سن (6) سنوات لشاب كبير- لأنه حارب المسلمين في بدر وأحد- يريد أن يتزوج مثل (جبير)، كما أنه من المستحيل أن يخطب (أبو بكر) ابنته لأحد المشركين وهم يؤذون المسلمين في مكة، مما يدل على أن هذا كان وعدا بالخطبة، وذلك قبل بدء البعثة النبوية حيث كان الاثنان في سن صغيرة، وهو ما يؤكد أن (عائشة) ولدت قبل بدء البعثة النبوية يقينا.

5 - أخرج البخاري في (باب - قوله: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل على محمد بمكة، وإني جارية ألعب «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»، والمعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربع سنوات من بدء الوحي بما يوازى (614م)، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة، ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أي أنها طفلة تلعب، فكيف تكون لم تولد بعد؟ ولكن الحساب المتوافق مع الأحداث يؤكد أن عمرها عام (4) من بدء الوحي، عند نزول السورة كان (8) سنوات، كما بينا مرارا وهو ما يتفق مع كلمة (جارية ألعب).

6 - أخرج البخاري (باب- لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال رسول الله: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال أن تسكت»، فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه، فالحديث الذي أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنات - بالعرائس - ولم يسألها أحد عن إذنها في الزواج من النبي، وكيف يسألها وهى طفلة صغيرة جداً لا تعي معنى الزواج، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثرًا شرعيًا لأنها موافقة من غير مكلف ولا بالغ ولا عاقل.

نقد سند الرواية:

سأهتم هنا ببيان علل السند في رواية البخاري فقط:

جاء الحديث الذي ذكر فيه سن (أم المؤمنين) بخمس طرق وهى:

حدثنى فروة بن أبى المغراء: حدثنا على بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.

حدثني عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه. حدثنا معلى بن أسد: حدثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن عائشة.حدثنا محمد بن يوسف: حدثنا سفيان، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.حدثنا قبيصة بن عقبة: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن عروة. وكما نرى ترجع كل الروايات لراو واحد وهو (عروة) الذي تفرد بالحديث عن أم المؤمنين (عائشة) وتفرد بروايته عنه ابنه (هشام)، وفى (هشام) تكمن المشكلة، حيث قال فيه (ابن حجر) في (هدى الساري) و(التهذيب): «وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: كان مالك لا يرضاه، بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم-جاء- الكوفة ثلاث مرات، قدمه -مرة- كان يقول: حدثني أبى، قال سمعت عائشة، وقدم- جاء- الثانية فكان يقول: أخبرني أبى عن عائشة، وقدم - جاء- الثالثة فكان يقول: «أبى عن عائشة».

والمعنى ببساطة أن (هشام بن عروة) كان صدوقا في المدينة المنورة، ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظه للحديث يسوء، وبدأ (يدلس) أي ينسب الحديث لغير راويه، ثم بدأ يقول (عن) أبى، بدلا من (سمعت أو حدثني)، والمعنى أنه في علم الحديث كلمة (سمعت) أو (حدثني) هي أقوى من قول الراوي (عن فلان)، والحديث في البخاري هكذا يقول فيه (هشام) عن (أبى) وليس (سمعت أو حدثني)، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث، ثم النقطة الأهم أن الإمام (مالكا) قال: إن حديث (هشام) بالعراق لا يقبل، فإذا طبقنا هذا على الحديث الذي أخرجه البخاري لوجدنا أنه محقق، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة بل كلهم عراقيون ما يقطع أن (هشام بن عروة) قد رواه بالعراق، بعد أن ساء حفظه ولا يعقل أن يمكث (هشام) بالمدينة عمرا طويلا، ولا يذكر حديثا مثل هذا ولو مرة واحدة، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة (عائشة) عند زواجها بالنبي في كتاب (الموطأ) للإمام مالك، وهو الذي رأى وسمع (هشام بن عروة) مباشرة بالمدينة، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية في البخاري، وذلك مع التأكيد على فساد متنها - نصها - الذي تأكد بالمقارنة التاريخية السابقة.

أما ابتناء الفقهاء والمحدثين وأولهم البخاري على هذا الحديث أوهامًا من الأحكام عن زواج الصغيرات فهذه صفحة سوداء من صفحات التراث، سنؤجل المناقشة فيها إلى حين، والغريب أننا نجد الوهابيين يروجون مقولة، إن البلاد الحارة تجعل البنت تبلغ باكرا وهى صغيرة، وهذا كلام البلهاء والسفهاء لأن البلاد الحارة وهى الجزيرة العربية، مازالت حارة، بل إن الحرارة قد ازدادت أضعافا مضاعفة، فلماذا لا نجد البنت تبلغ قبل أوانها في السادسة أو حتى في التاسعة، كما أن ذلك يتناقض مع الحقائق العلمية التي تؤكد عدم وجود دور يذكر للمناخ في البلوغ المبكر.

الخلاصة:

أن السيدة عائشة تزوجت الرسول بعمر (18) سنة على التقدير الصحيح، وليس (9) سنوات، وأن هذه الرواية التي أخرجها البخاري ببساطة رواية فاسدة النص ومرتابة السند، لأنها تخالف الشرع والعقل والأحاديث الصحيحة والعرف والذوق والعادة، كما تخالف بشدة قصوى الخط الزمني لأحداث البعثة النبوية، فلا يجب أن نجل البخاري ومسلم أكثر مما نجل الرسول الكريم، فلنا أن نقبل ما رفضوه وأن نرفض ما قبلوه، فالإسلام ليس حكرا على الفقهاء والمحدثين ولا على زمانهم فقط، لذا فإننا نستطيع وبكل أريحية أن نستدرك على كل كتب الحديث والفقه والسيرة والتفسير، وأن ننقدها ونرفض الكثير مما جاء فيها من أوهام وخرافات لا تنتهي، فهذه الكتب في النهاية محض تراث بشرى لا يجب ولا ينبغي أن يصبغ بالقدسية أو الإلهية أبدا، فنحن وأهل التراث في البشرية على درجة سواء، لا يفضل أحدنا الآخر، فصواب أعمالهم لأنفسهم وأخطاء تقع علينا.

---

* باحث إسلامي أزهري
عن/ موقع(اليوم السابع)

هل ندافع عن الروايات.. أم عن رسول الله؟

د.خالد منتصر *

العقل الإسلامي يعيش أزمة حقيقية، أهم ملامح هذه الأزمة هو تقديس السلف من الفقهاء وجامعي الأحاديث حتى ولو على حساب الرسول الكريم نفسه!، وكما قدس اليهود التلمود أكثر من التوراة قدسنا نحن المسلمين كتب الأحاديث أكثر من القرآن نفسه! وأصبح انتقاد الأحاديث من أي باحث أو حتى محاولة تحليلها أو ابتداع منهج جديد لقراءتها من قبيل الانتحار أو اللعب بالنار. وهذا ما حدث مع الكاتب الشاب إسلام بحيري الذي دافع عن الرسول عليه الصلاة والسلام وأثبت بالدلائل التاريخية أن الرسول تزوج السيدة عائشة في سن الثامنة عشر وليس في سن التاسعة كما ذكر البخاري، ولأن البخاري في نظر السلفيين لا يمكن أن يخطئ، فقد كذبوا الباحث واتهموه بالجنون، وأصبحت بذلك حماية البخاري من النقد أهم بكثير من حماية الرسول من الاتهامات المغرضة. لم يكن الباحث إسلام بحيري أول من أثار هذه النقطة فقد حاول المؤرخ حسين مؤنس من قبل تفنيد مسألة زواج الرسول من عائشة وهى في سن التاسعة ولم يكن مقتنعا بذلك، ولكن مر القراء عليها مرور الكرام لأنها كانت مجرد نقطة هامشية في كتاب ليست هذه قضيته الأساسية، ولكن الباحث الشاب الذي نشر بحثه في جريدة (اليوم السابع) وألقى الضوء عليه المفكر المجدد جمال البنا وعلق عليه الصحفي المتألق سليمان جودة، هذا الباحث بذل جهدا كبيراً في بحثه المطول، وجعل تركيزه على هذه النقطة بالذات، ولن أطيل في كيف أثبت بالمنطق التاريخي أن سن أم المؤمنين لم يكن 9 سنوات ولكنه ثمانية عشر عاما،فمن يريد متابعتها عليه الإطلاع على موقع (اليوم السابع)، فالمهم عندي هو رد فعل القراء ورد فعل الأزهر، وهو ما أود الإلحاح عليه وفتح زوايا جديدة للنقاش، ومواجهة الحقيقة المرة التي ربما خجل البنا وسليمان جوده من إعلانها أو طرح علامات استفهامها، وهى هل الناس في مصر ومن ضمنهم الأزهريين صاروا يقدسون البخاري أكثر من الرسول، ويهتمون بالدفاع عنه أكثر من دفاعهم عن الرسول؟!، للأسف الإجابة صادمة ومحبطة.

تعليقات القراء وموقف الأزهر من هذا البحث هو الذي يستحق الدراسة، وهو الذي يشير إلى الخلل العقلي الذي أصابنا، فهم لم يناقشوا البحث أصلاً، ولم يبذلوا أي جهد عقلي لإثبات أخطائه وفساد استدلالاته، وإنما كان كل همهم هو الدفاع عن الإمام البخاري فقط ومهما كانت النتائج والتبعات، وحتى لو خالف حقيقة تاريخية أو علمية، وهذه هي بعض التعليقات وسأنقلها كما هي:

● إن كنت مدافعًا عن الحبيب المصطفى، فهم من علموك من هو الحبيب، فلا تستخدم جهدهم في حربهم، ولا تقف على برج بنوه بعمرهم لترميهم من عليه، فكل قواعد الحديث التي تستند عليها لتسخر منهم، هم واضعوها.

● يعني من الآخر بنقول طز في البخاري ومسلم وبالتالي تشكيك مفتوح في كل حديث فيهم!!

وما فيها لو تزوج الرسول منها وهى طفلة؟؟؟،والله لو لي طفلة لزوجتها للرسول حتى لو كانت في عمر السنتين.

● نحن كمسلمين لا يعنينا ولا يعيبنا إذا كانت السيدة عائشة 9 سنوات أو 90 سنة ولا ينتقص من قدرها أو من قدر النبي أي شيء - ولسنا مطالبين بتبرير أو تفسير يرضي الآخرين من أعداء الدين.

● اتقوا الله واتركوا العلم للعلماء... وتحدثوا بأدب عن أهل الأدب والفضل.

● يا آخى لا نريد ونحن في هذه الفترة العصيبة التشكيك في أعلام الفكر الإسلامي حتى لا نحدث ضجة من التشكيك في علماء أمثال البخاري ومسلم.

● سيدي إن المنطقة العربية حارة وسن البلوغ فيها للبنات يكون مبكراً ونحن نقول بالعامية (البنت فايرة) بمعنى أن علامات الأنوثة تظهر عليها مبكرة ، والسيدة عائشة بهذا المعنى لم تكن طفلة كما يقول قصار الفكر ضعاف العلم والعقل والحاقدين على عظمة الإسلام ونبيه الكريم.

● الأخ العزيز كاتب المقال، أحب أن أوجه انتباهك إلى شيء مهم وهو مهما بلغ اهتمامك وحرصك على هذا الدين فلن يبلغ اهتمام وحرص السلف الصالح (الذي نعته بالتراث القديم) على هذا الدين وهذا السلف الصالح الذي قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم (خير القرون قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم) ولا ح تعترض على هذا الحديث هو الآخر،يا أستاذ الدين ليس لعبة نتقبل منها ما نشاء ونرفض منها ما نشاء حسب عقولنا فأنت لست أعقل منى ولا من غيري حتى أتقبل كلامك وارفض كلام البخاري ومسلم اتقى الله في المسلمين وفى الإسلام.

● فلو فتحنا الباب لنقد البخاري ومسلم ستكون فتنة كبرى. علماؤنا هم من وصفوهما بالصحيح وهؤلاء افنوا أعمارهم.

هذه التعليقات مجرد عينة مما كتب في (اليوم السابع) ولم أنقل التعليقات على مقال جمال البنا لضيق المساحة، بالطبع كانت هناك تعليقات مستنيرة، ولكنها كأي فكر مستنير ناقد في مصر هو مجرد صوت هامس مبحوح وسط صراخ وضجيج الظلاميين، ولكن ليست التعليقات في حد ذاتها هي المهمة ولكن المهم هو دلالات هذه التعليقات التي تحمل بصمات تفكير عقلي محنط.

كيف واجه هؤلاء بحثاً منطقياً يتحدث بالأرقام والتواريخ؟، أتبعوا أكثر من مدرسة في الرد والتفكير، وكل مدرسة منها تحمل فيروساً مدمراً يحرض على مزيد من التخلف والتحجر :

1- المدرسة الأولى هي مدرسة ليس في الإمكان أبدع مما كان، وإنت مين يا صعلوك علشان تتطاول على البخاري، وكأن التحريض على منهج جديد في البحث هو تطاول، وكأن الاستفادة من الكمبيوتر والآلة الحاسبة وعلم التاريخ والإحصاء وإعمال العقل جريمة تطاول، وأقولها بصوت عال نعم الباحثون الآن أفضل من فقهاء الماضي لو أرادوا، لسبب بسيط وهو توافر وسائل تكنولوجية ومناهج بحث لم تكن متوافرة لهم، تكفيهم مؤونة وجهدًا وكدًا عملاً مضنياً للبحث عن كلمة في ركام عشرات الآلاف من الأوراق، وهى الآن من الممكن كشفها في ثانية بضغطة على زر (الكى بورد)، وجرب أن تبحث مثلاً عن معدل تكرار كلمة معينة في القرآن وقارن بين ما تستغرقه أنت على الكمبيوتر الآن وبين ما يستغرقه فقيه من ألف سنة، وقارن معدل الخطأ عندك الذي هو تقريباً صفر ومعدل الخطأ عنده!!.

2- المدرسة الثانية هى مدرسة التخريفات العلمية، ومنها تخريفة فوران البنات فى البلاد الحارة وكأنهن كسرولة لبن على البوتاجاز!، وأرجو من إفتكس هذه الإفتكاسه العلمية أن يذهب معنا إلى السعودية الآن الأشد حرارة لنشاهد عملية الفوران الأنثوية التى تجعل البنت الحارة ضعف الباردة، وبرجاء مشاهدة الفتيات الألمانيات اللاتى تنتمين إلى طائفة الدبابات ومقارنتهن بفتيات كينيا الحارة اللاتى تبرز عظام قفصهن الصدرى من كثرة الفوران!، وإذا قبلنا هذا الدفاع المعتمد على الفوران،يبقى سؤال وهو ماعلاقة فوران البنت فى البلاد الحارة بضرورة تزويجها بدرى؟، وماعلاقة الفوران والحرارة بفوران الرغبة الجنسية؟!!، مجرد أسئلة بريئة.

3- المدرسة الثالثة هى مدرسة الستر، وإكفى ع الخبر ماجور، وبلاش اللغوصه فى المسائل دى لأنها ممكن تعمل بلبلة، وأقول يامرحبا بالبلبلة إذا كانت ستحقق تقدماً إلى الأمام، وهو الفكر إيه غير بلبلة فى البداية؟!!، مسألة أن تغطى الجرح على قيح وصديد ستنتهي بمأساة وهى بتر العضو نفسه، فالخوف والرعب من الشفافية ومناقشة ما نعتبره بديهيات تحسباً لفتح باب القيل والقال والتشكيك في السلف الصالح، لم يعد له مكاناً في عالمنا الآن، فكل شيء مطروح للنقاش على مائدة البحث، ومحاولة إخفاء الحقائق والعورات وزيادة رصيد المسكوت عنه أصبح مثل محاولة إخفاء جسد عار بقطعة قماش شفافة !!.

أما عن صمت الأزهر تجاه هذا البحث، وهو السؤال الذي طرحه سليمان جوده، فإجابته سهلة: أي تشكيك في أي حديث حتى ولو كان متنه مخالفاً تماماً لحقيقة علمية واضحة كالشمس، هذا التشكيك سيضيع « السبوبة » أو بمعنى آخر ستبور تجارتهم في الفتاوى المعتمدة على الأحاديث والروايات، فكلما صارت الأحاديث تابو أو جيتو أو ساحة مغلقة لا يدخلها إلا صاحب العمامة بباسبور الأزهر، كلما أصبح منح صك الغفران حقاً أصيلاً واحتكاراً مطلقاً لهم، وأي خدش لهذه المنظومة سواء من خارج المنظومة الأزهرية مثل إسلام البحيرى أم جمال البنا أو حتى من المنظومة نفسها مثل الشيخ الأزهري أحمد صبحي منصور، سيقابل بمنتهى العنف أو بمنتهى الطناش.!!

---

* طبيب مصري- عضو منظمة (أطباء بلا حدود) حائز على جائزة الأمم المتحدة للمتطوعين ضد الكوارث في البلدان الفقيرة.